السنة الثلاثون والأربع مئة

فيها في المُحرَّم جلس الخليفةُ جلوساً عاماً لتلقيبِ الملك أبي كاليجار والخَلْعِ عليه، وحضر الوزيرُ كمالُ الملك ووجوهُ الحواشي والقضاةُ والشهودُ والأشرافُ والعلماءُ، وحضرَ الوزيرُ عميدُ الدولة أبو سعد، وتقدَّم الوزيرُ كمالُ الملك وقال للخليفة: العبد ملكُ الملوك شاهنشاه الأعظم يسأل مولانا ما سبق به الإنعام في معنى المَرْزُبان ابن أخيه، فقال: نفعل. وأُحضِرتِ الخِلَعُ المعهودة، وقُرِىء عهدُه على ما جرت به العادة.

وفي شعبان صاهر أبو كاليجار مسعود بن محمود [بن سُبُكْتِكين] على أخت مسعود، ومضى الرسلُ إلى غَزْنة، وقيل: إنما كان العقدُ لسعيد بن مسعود على ابنةِ أبي كاليجار، وكان يوماً مشهوداً.

[وحكى ابن الصابىء عن] بعض الرسل: دُعينا إلى باب مسعود بغَزْنة، فشاهدنا بالباب أصنافَ العساكر، وملوكَ جُرجان وطبرستان وخراسان والهند [والسند] والترك، وقد أُقيمت الفِيَلَةُ عليها الأسِرَّة والعَمَاريات الملبَّسة بالذهب، مرصعةً بأنواع الجواهر، ودخلنا وإذا بأربعة آلاف غلام وقوفٌ سِماطين، وفي أوساطهم مناطق الذهب [والفضة]، وبأيديهم أعمدة الذهب، ومسعودٌ جالسٌ على سريرٍ من الذهب لم يوضَعْ على الأرض مثلُه، وعليه الفُرُش الفاخرة، وعلى رأسه تاجٌ مُرصَّعٌ بالجواهر واليواقيت، وقد أحاط به الغِلمانُ الخواصُّ بأكمل زينة، ثم قام مسعود فانتقل إلى سِماطٍ من فضة عليه خمسون خِواناً من الذهب، على كلِّ خُوان خمسة أطباق ذهب، فيها أنواعٌ من الأشربة، فسقاهم الغِلمانُ، ثم قام مسعود إلى مجلس عظيم الأقطار فيه ألف دَسْتٍ من الذهب، وأطباقٌ كبارٌ خَسْروانيةٌ فيها الكِيزان، وعلى كلِّ طبق زَرافةُ ذهب، وأطباقٌ كبارٌ ذهب، فيها المسك والعنبر والكافور، وأشجار الذهب [والفضة] مرصعةٌ بالجواهر واليواقيت، وشموعٌ من ذهب، في رأس كلِّ شمعة قطعةٌ من الياقوت الأحمر، يلمع كلمعان النار، وأشجارُ العود قائمةٌ بين ذلك، وفي آخر المجلس رحًى من الذهب يطحن المسك والكافور والعنبر، [وفي جانب المجلس بحيرةٌ في جوانبها

من الجواهر والعنبر][1] والفصوص واللؤلؤ شيء يقصر الوصف [عنه]. وذكر أشياء أُخَر تُحيِّر الأسماع. [قلت: فما بقينا ولا بقوا].

وبعث مسعودٌ خادماً ليتسلَّم البيت، وأكرم الرسلَ وردَّهم، فمات الخادم والرسل قبل أن يصلوا إلى شيراز، [وهذا من العجائب].

وفيها سأل جلالُ الدولة الخليفةَ أن يُلقِّبَ ابنَه لقباً، فلقَّبه الملك العزيز، وكان مقيماً بواسط، وبرز إلى ملك بني بُوَيه.

وفيها استولى الغُزُّ على هَمَذان وما قاربها، واستفحل أمرُهم.

وفيها استولى بنو سلجوق على خراسان والجبال، وهرب مسعود بن محمود منهم إلى غَزْنة، واقتسموا البلاد.

ذِكْرُ بدايتهم:

أصلُهم تركمان، ينزلون في الخركاوات[2] بالبراري من وراء النهر، فزوَّجَ سلجوق ابنتَه من رجل يُعرف بعلي تِكين، فأفسد على محمود بن سُبُكْتِكين البلادَ بالنهب والغارات، فقصدهما محمود، فأمَّا عليٌّ فأفلِتَ، وأمَّا سلجوق فأسره، وبقي طُغْرُلْبَك ـ واسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق ـ في أربعة آلاف خَرْكاة ينتقلون من مكان إلى مكان، فلمَّا توفي محمود اشتغل ابنُه مسعود بلذَّاته وغرق فيها، ولم ينظر في الأمور، فاجتمع إلى طُغْرُلْبَك خلقٌ عظيمٌ من التركمان، فورد نيسابور وقد استولى عليها اللصوص فهذَّبها، ومال إليه المستورون وأحبُّوه، فسار إلى مسعود فهزمه، واستولى على خراسان، وولَّى أخاه داود مرو وسَرْخَس وبَلْخ، وابنَ عمه الحسن بن موسى هَراةَ وبُوشَنج وسِجِسْتان، وولَّى أخاه لأمه إبراهيم ينَّال دهستان، وقصد بنفسه الريَّ، فوقع على دفائن كثيرةٍ فتقوَّى بها، وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفيها جلس الخليفةُ، وخلع على قاضي القضاة أبي عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا عُقيب ما جرى على أخيه من النكبة، وقُرِىء توقيعٌ جميلٌ في أمره بمحضرٍ من

(١) هذه الزيادة والتي بعدها من (ف) وحدها.

(٢) الخركاوات جمع خَركاة: وهي الخيمة الواسعة، وتقدمت مراراً.

الخليفة، وكان أخو هبة الله أبو القاسم وَزَر[1] لجلال الدولة مراراً، وكان حافظاً للقرآن، عالماً بالأخبارِ وأيامِ الناس، خُنِقَ بِهِيت في جمادى الآخرة.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق ولا من الشام ولا من مصر.

و[فيها] تُوفِّي أبو الفتوح الحسن بن جعفر، العلوي، أمير مكة.

وفيها استوزرَ أبو نصر بنُ مروان صاحبُ ميَّافارقين أبا نصر محمد بن محمد بن جَهير ـ وكان من الموصل ـ صهرَ ابن أبي العقارب رئيس الموصل، فجرَتْ بينهما مشاحنةٌ أورثَتْ عداوةً، وكان ابنُ أبي العقارب حاكماً على الموصل، فأرسل إلى قِرْواش، وقال: لا بُدَّ من إخراجه. فأخرجه، فمضى إلى ميَّافارقين، فاستوزره ابنُ مروان ولقَّبَه كافي الكُفاة، فساس الأمور، وأحسن إلى الناس.

وكان كريماً مِفضالاً مُمدَّحاً، امتدحه الشعراء؛ ابنُ حَيُّوس والخَفاجي وغيرُهما، وراسل الخلفاءَ والملوك، وحمل دولة بني مروان، ووَزَر للقائم، وسنذكره.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن عبد الله[2]

ابن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم، أبو نُعيم الأصفهاني، صنَّف الكثير، وكان يميل إلى مذهب الأشعري ميلاً كثيراً.

قال الخطيب: كان يخلط المسموع بالمجاز له ولا يوضح أحدَهما من الآخر.

وقال عبد العزيز النَّخْشبي: لم يسمع أبو نُعيم مسندَ الحارث بتمامه من أبي بكر بن خلَّاد، فحدَّث به كلَّه.

وتُوفِّي في ثاني عشر المُحرَّم بأصبهان، أسند الحديث عن جماعةٍ، وروى عنه حَمْد ابن أحمد الحداد كتاب «الحلية»، وقد أودع كتاب «الحلية» الأخبارَ الموضوعة، والأحاديثَ الباطلة، ولم يُبيِّن الصحيحَ من السقيم، وسجع في تراجم الرجال سجعاً

---

(١) المثبت من (ف)، وفي باقي النسخ: وزير.

(٢) المنتظم ١٥/ ٢٦٨ ، و صفة الصفوة ١/ ٢٠ـ٣٢ . وتنظر بقية مصادر الترجمة في السير ١٧/ ٤٥٣ .

بارداً وما كان فنَّه، وأضاف التصوُّفَ إلى أبي بكر وعمر والصحابة ﷺ، وإلى سفيان الثوري ومالك والشافعي، رحمة الله عليهم أجمعين.

ثم إنه ذمَّ الصوفية فقال في ترجمة الشافعي: قال الشافعي: التصوُّف مبنيٌّ على الكسل، ولو تصوَّفَ رجلٌ أولَ النهار لم يأتِ الظُّهرَ إلا وهو أحمق.

[وفيها تُوفِّي]

الحسن بن الحسين[1]

أبو علي، الرُّخَّجي، الوزير، وزر لمشرِّف[2] الدولة [أبي علي بن بهاء الدولة] سنتين، ثم عُزِلَ، وكان في زمان عطلته عظيمَ الجاه، وتوفي [في هذه السنة] وقد قارب الثمانين، وقيل له: إن واسطاً خاليةٌ عن مارستان [وهي مصر من الأمصار الكبار]. فبنى بها مارستاناً، وأنفق عليه أموالاً عظيمةً، ووقف عليه الضِّياع، وهو الذي تولَّى إثارة أموال فخر الملك أبي غالب[3] من غير عسفٍ، ولا ضربَ أحداً بعصا، واستخرجها بألطف الوجوه، وسببه أنه وقع بجريدة بخطِّ فخر الملك، وقد أودع الأموالَ عند جماعة، وكنَّى عن ألقابهم وغيَّر أسماءهم، فكان فيها عند الكَوْسج اللِّحياني كذا وكذا ألف دينار، وعند بُسرة بقُمْعِها كذا وكذا ألف دينار، فلم يعرِفْ من هذين، فدخل عليه رجلٌ كان يأنس بفخر الملك متظلِّماً من جارٍ له، فقال: يا مولانا، قد كان فخر الملك يُحبُّني ويُطلِعُني على أسراره، ويُلقِّبني بالكوسج اللِّحياني. فقال له: تعالَ أحضرِ العشرين ألف دينار التي عندك وديعةً. فأنكر، فأمر بتقريره، فحملها بختومها، ثم فكَّر في بُسرة بقُمعِها، وكان هلال بن المحسن الصابىء المؤرِّخ كاتباً لفخر الملك، فأخذ الباءَ من الصابىء والسينَ من المحسن، فاستدعاه وخاطبه سرًّا في مالِ فخر الملك، فاعترف وقال: عندي منه شيء. فقال له الرُّخَّجي: قُمْ أيُّها الرئيس آمناً، ولا تُظْهِرْ هذا الحديث لأحد، وأنفقِ المالَ على نفسك وولدك. ثم دخل هلالٌ بعد ذلك على أبي سعد بن عبد الرَّحيم في أيام وزارته، فقال له: قد علمتُ ما دارَ بينك وبين الرُّخَّجي،

---

(١) المنتظم ١٥/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) في (م١) وحدها: لشرف، والصواب ما أثبتُّه من باقي النسخ ومن المصادر.

(٣) في (ف): أبي كاليجار، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٥/ ٢٦٩.

وأنتَ تعلمُ حاجتي إلى الحبَّة الواحدة وتأوُّلي على مَنْ لا معاملةَ بيني وبينه، ولا يسبقني الرُّخَّجي إلى مكرُمةٍ، وما كنتُ لأُنكِّبَ مثلَكَ، والصواب أن تشتغل بتاريخ أخبار الناس. فاشتغل ابنُ الصابىء من ذلك الوقت بتاريخه الذي ذَيَّله على تاريخ سنان بن ثابت، فاستخدمه الملوك، فلم يحتَجْ إلى إنفاق شيء من المال، وخلَفَ ولده أبا الحسن محمد المعروف بغرس النعمة، وظهر له دفائنُ في داره تشتمل على اثني عشر ألف دينار، وما كانوا يظنُّون أنَّ تَرِكَته تبلغ ألف دينار، وتمزَّق الكلُّ في أسرع وقت.

[وفيها تُوفِّي

عبد الملك بن محمد[1]

ابن عبد الله بن محمد بن بِشْران بن مِهْران، أبو القاسم، الواعظ، البغدادي، وهو أخو أبي علي الحسين بن بِشْران، وكان الأصغر، ولد سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة في شوال، وكان فاضلاً، يتكلّم على الناس، وله قبولٌ عظيم، وكان يعِظ بجامع المنصور والرُّصافة، وكان يسكن بالجانب الشرقي من بغداد بدرب الديوان عند جامع المهدي، وكانت وفاته في ثاني عشر ربيع الآخر، ودُفِنَ بمقبرة المالكية إلى جانب أبي طالب المكي بوصيةٍ منه، سمع أحمد بن سلمان النجَّاد وَدَعْلَج بن أحمد وغيرَهما .

قال الخطيب: وكتبتُ عنه، وكان يشهد عند الحكَّام ثم ترك الشهادة رغبةً عنها].

[وفيها تُوفِّي]

الفضل بن منصور

أبو الرِّضا، البغدادي، ويقال له: ابن الظريف، كان شاعراً فصيحاً، ومن شعره:

[من المنسرح]

يا قالَةَ الشِّعرِ قد نصحتُ لكُمْ ... ولستُ أُدهى إلَّا من النُّصْحِ

قد ذهبَ الدهرُ بالكرامِ وفي ... ذاكَ أمورٌ طويلةُ الشَّرحِ

أتطلبونَ النَّوالَ من رجلٍ ... قد طُبِعَتْ نفسُهُ على الشُّحِّ

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٢ـ٤٣٣ ، و المنتظم ١٥/ ٢٧٠ـ٢٧١ .

وأنتُمُ تمدحونَ بالحُسن والظَّرفِ وجوهاً في غاية القُبحِ[١]

من أجلِ ذا تُحرَمون رِزْقَكُمُ ... لأنَّكمْ تكذِبون في المدحِ
صونوا القوافي فما أرى أحداً ... يَعْلَقُ فيه الرجاءُ بالنُّجْحِ
فإن شكَكْتُمْ فيما أقولُ لكُمْ ... فكذِّبوني بواحدٍ سَمْحِ

وقال: [من البسيط]

ومُخْطَفُ الخصرِ[٢] مطبوعٌ على صَلَفٍ[٣] ... عَشِقْتُهُ ودواعي البَينِ تعشَقُهُ
وكيفَ أطمعُ منه في مواصلةٍ ... وكلَّ يومٍ لنا شملٌ يُفرِّقُهُ
وقد تسامحَ قلبي في مساعدتي ... على السُّلوِّ ولكِنْ مَنْ يُصدِّقُهُ
أهابُهُ وَهْوَ طلْقُ الوجهِ مبتسمٌ ... وكيف يُطمِعُني في السيفِ رَوْنَقُهُ

محمد بن الحسين[٤]

ابن محمد بن خلف، أبو خازم، ابن الفرَّاء، أخو القاضي أبي يعلى، سمع الحديث ببغداد، وسافر إلى مصر، فنزل بتِنِّيس، وتوفِّي بها يوم الخميس سابع عشر المُحرَّم، وحُمِل إلى دمياط فدُفِنَ بها، سمع الدارقطنيَّ وغيرَه، وحدَّث بدمشق عن عيسى بن علي الوزير، وقال الخطيب: كتبنا عنه، ولا بأس به.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن عبد الله

أبو بكر، الدِّينَوري، الزاهد، كان جلال الدولة يزوره ويمشي إليه، سأله يوماً في مَكْسٍ كان يُؤخذ من الملح مقداره في كلِّ سنة ألفا دينار، فأطلقه. وكان زاهداً عابداً

---

(١) البيت في (خ) هكذا:

وأنتم تمدحون بالجود والـ ... ـبذلِ لئاماً في غاية السرحِ

وكذا في المنتظم، لكن جاء في آخره: الشح، بدل: السرح، والمثبت من (ف) كما في وفيات الأعيان ٥/ ١٣١، و الوافي بالوفيات ١/ ١٢٤، و البداية والنهاية ١٢/ ٤٦.

(٢) مُخطَفُ الخصر: ضامر البطن والحشا. ينظر اللسان: (خطف).

(٣) الصَّلَفُ: مجاوزة القدر في الظَّرْف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبُّراً. اللسان (صلف).

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٢ـ٢٥٣، و المنتظم ١٥/ ٢٧١.

وكان ابنُ القزويني أبو الحسن يُثني عليه ويقول: عبر الدِّينَوري قنطرةً، وخلَّفَ مَنْ بعده وراءه.

[وحكى الخطيب أن أبا] الوفاء الواعظ حُمِلَ إلى الدِّينَوري وقد رمدت عينه، وكان الرمد يعتريها كثيراً، فأدخل خِنصرَه فيها ومسحَ عليها. [قال أبو الوفاء]: فأقمتُ ستين سنة لم أرمد.

تُوفِّي الدِّينَوري في شعبان، وكان يسكن شرقيَّ بغداد، واحتفل الناس بجنازته، وصُلِّي عليه بجامع الرُّصافة، ثم عبروا به إلى جامع المنصور فَصُلِّي عليه، [واجتمع في جنازته] خلقٌ كثيرٌ، وحُمِلَ إلى مقابر الإمام أحمد ـ رحمةُ الله عليه ـ فدُفِنَ بها.

السنة الحادية والثلاثون وأربع مئة

فيها نهبتِ العرب نهرَ الملك وضِياع بغداد، وساقوا المواشي، وحملوا الأقوات، وأحرقوا عِدَّة قرى ودواليبَ، وخرقوا الهيبة، وسببُه قِرْواش، فإنه جرَّأهم على ذلك وأمرهم به، فغاظ ذلك جلالَ الدولة، وعزم على قصده، وكان الثلثُ من مَغَلِّ العراق قد جعله جلالُ الدولة لقِرْواش، فقطعه عنه، وجهز أبا الوفاء القائد وخلع عليه، وبعث معه العسكَر وأبا الفتح ابن وَرَّام، فنزل السندية سادس صفر، ولليلةٍ بقيت منه يوم الأحد كان في دار المملكة إملاكان في أحدهما لأبي علي فناخسره بن جلال الدولة على جهان بابويه بنت أبي كاليجار، والثاني لأبي نصر فيروز بن أبي كاليجار على السيدة زينب بنت جلال الدولة، والصَّداق في كلٍّ واحد منهما خمسون ألف دينار، وحضر جلال الدولة، وكان وكيلَه في العقد على ابنتِه وقبولِ العقد لابنه المرتضى الموسويُّ، ووكيلَ عزِّ الملوك أبي كاليجار في مثل ذلك أبو القاسم بن عبد العزيز الحسين بن مرشد الفرَّاش سلار[1]، وحضر القُضاة والأعيان والوزراء وخَدَمُ الخليفة والحُجَّاب، وخطب القاضي أبو الحسين ابن الغريق، ونُثرت دراهمُ ودنانير، وكُتب بذلك كتابٌ أنشأه المرتضى.

وفي ربيع الآخر مات شبيب بن وثَّاب النميري صاحب حرَّان، وكان الدِّزْبَري قد قصده فخطب لصاحب مصر بالرقة خطبة واحدة، ثم قطعت، واستنجد ابنُ وثاب بالعرب.

---

(١) هكذا وقع الكلام في (خ)، وهي النسخة الوحيدة لذكر هذا الخبر!